

المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
كلية اللغة العربية بالرياض
قسم البلاغة والنقد ومنهج الأدب الإسلامي

البلاغة عند ابن السكيت

في كتابه

(الحروف التي يُتكلّم بها في غير موضعها)

للدكتور / إبراهيم بن عبد الله بن غانم السماعيل

الأستاذ المساعد (قسم البلاغة والنقد ومنهج الأدب الإسلامي - كلية اللغة العربية -

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - الرياض)

العام الجامعي

١٤٣٢ - ١٤٣٣ هـ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وابن السكيت من المكثرين في التأليف في علوم شتى من النحو ، واللغة ، ومعاني الشعر ،
و تفسير دواوين العرب ، وغيرها .

حتى إن مجموع مؤلفاته بلغ فيما وصل إلينا ، وما فقد منها (سبعة وستين) مؤلفاً .
وعامة هذه الكتب ذات صبغة لغوية ، أو نحوية ، أو أنها مؤلفات قائمة على شرح ديوان
شعري .

أمّا كتابه (الحروف التي يُتكلم بها في غير موضعها) فهو كتاب نفيس في بابه ؛ لأنه
يكشف لنا خوض ابن السكيت غمار البلاغة ، ودراسته شيئاً من مباحثها .

ذلك أن الكتاب قد عُني بعدد من الموضوعات البلاغية المهمة ، ومنها عنايته بالألفاظ التي
جاءت فيها الاستعارة ، مع بيان نوع الاستعارة من حيث القبول أو الرفض ، كما تحدّث عن
الألفاظ التي غلظت فيها العرب ، ويدخل فيه دخولاً أولياً ما يُعرف بضرورة وزن الشعر ، كما جاء
الحديث في هذا الكتاب عن (التغليب) ، وهو ما يُسمّى بالمشنيات اللغوية ، كما عُني الكتاب
بالألفاظ التي جاءت مجموعة ، وإنما هي اثنان أو واحد في الأصل .

وأهمية اختيار هذا الموضوع في دراسة هذا الكتاب ترجع إلى سببين :

أولهما : تقدّم ابن السكيت - رحمه الله - ؛ حيث عاش أواخر القرن الثاني ، وتوفي في
النصف الأول من القرن الثالث (ت ٢٤٤هـ) .

والثاني : أن ابن السكيت - رحمه الله - قد اشتهر من خلال مؤلفاته بكونه نحوياً لغوياً ،
ولم يشتهر بكونه بلاغياً .

في حين يكشف لنا كتابه (الحروف) دراسته البلاغية ، وإيراده الشواهد البلاغية التي غدت
فيما بعد متداولة في كتب البلاغيين والنقاد الكبار ؛ من أمثال (قدامة بن جعفر) ، و (عبد القاهر
الجرجاني) ، كما سيتضح في ورقات هذا البحث إن شاء الله تعالى .

منهج البحث :

وقد قسّمتُ البحثُ إلى : مقدمة ، وتمهيد ، ومبحثين اثنين ، أولهما بعنوان : عرض كتاب (الحروف) ، وثاني المبحثين بعنوان : شواهد ابن السكيت البلاغية في مصادر البلاغة ، وخاتمة ، وثبت المصادر والمراجع.

وقد اشتملت المقدمة على : أهمية الموضوع ، وأسباب اختياره ، ومنهج البحث ، وخطته .

في حين جاء التمهيد عرضًا لحياة ابن السكيت ، وعلمه ، وشعره ، وشيوخه ، وتلاميذه ، ومؤلفاته ، وأقوال العلماء فيه.

أما المبحث الأول: فكان مخصّصًا لعرض كتاب (الحروف التي يُتكلّم بها في غير موضعها) من حيث عدد أبوابه ، وعنوان كل باب ، وعدد شواهده ، وأمثله ، ومنهجه في الدراسة.

أما المبحث الثاني : فكان بقراءة سريعة لبعض مصادر البلاغة لمعرفة التوافق بين شواهدها وشواهد كتاب ابن السكيت رحمه الله تعالى.

ثم جاءت الخاتمة مبيّنة أبرز نتائج هذا البحث ، وتوصيات الباحث.

مقفوّةً بثبت المصادر والمراجع الواردة في هذا البحث .

وكتبه

د / إبراهيم بن عبد الله بن غانم السماعيل

الرياض

١٥ / ٢ / ١٤٣٣ هـ

التمهيد

حياة ابن السكيت

اسمه :

هو أبو يوسف ، يعقوبُ بنُ إسحاقَ السكّيتِ ، (السكيت صفة لأبيه ؛ لطول صمته) (٢) البغداديّ.

نسبه :

سأل الفراءُ ابنَ السكيت عن نسبه فقال: خوزي أصلحك الله من دُورق - وهي بليدة من أعمال خوزستان - من كور الأهواز - والأهواز من خوزستان أيضاً - قال: فبقي الفراء أربعين يوماً في بيته لا يظهر لأحد من أصحابه، فسئل عن ذلك، فقال: سبحان الله، أستحي أن أرى السكيت، لأنني سألته عن نسبه فصدقني، وفيه بعض القبح. (٣)

نبوغه منذ صغره

قال أبو الحسن الطوسي: كنا في مجلس أبي الحسن علي اللحياني، وكان عازماً على أن يملي نواتره ضعف ما أملى، فقال يوماً: تقول العرب " مثقل استعان بذقنه ". فقام إليه ابن السكيت وهو حدث فقال: يا أبا الحسن إنما هو " مثقل استعان بدهيه "، يريدون الجمل إذا نهض بحمله استعان بجنبه، فقطع الإملاء. فلما كان المجلس الثاني أملى فقال: تقول العرب " وهو جاري مكاشري ". فقام له ابن السكيت فقال: أعزك الله وما معنى

٢ - سير أعلام النبلاء ١٢ / ١٦

٣ - وفيات الأعيان ٦ / ٣٩٦

مكاشري إنما هو " هو مكاسري، كسر بيتي إلى كسر بيته " قال: فقطع اللحياني الإملاء
فما أملى بعد ذلك شيئًا. (٤)

بداية شهرته :

قال أبو العباس ثعلب: كان ابن السكيت يتصرف في أنواع العلوم، وكان أبوه رجلاً
صالحاً، وكان من أصحاب الكسائي حسن المعرفة بالعربية. وكان سبب قعود يعقوب للناس
وقصدهم إياه أنه عمل شعر أبي النجم العجلي وجرده ، فقال: ادفعه لي لأنسخه فقال: يا
أبا العباس، حلفت بالطلاق أنه لا يخرج من يدي، ولكنه بين يديك فانسخه، واحضر يوم
الخميس، فلما وصلتُ إليه عرف بي، فحضر بحضوري قوم، ثم انتشر ذلك فحضر الناس.
(٥)

شيوخه :

أخذ ابنُ السكيت العلم عن علماء أجلاء ، منهم :

١- أبو الحسن علي بن المغيرة الأثرم.

٢- أبو عبد الله محمد بن زياد (ابن الأعرابي).

٣- أبو عمرو إسحاق بن مرار الشيباني.

٤- عبد الله بن محمد البغدادي (الأخفش).

٥- أبو زكريا يحيى بن زياد الديلمي (الفراء).

٦- أبو علي محمد بن المستنير (قطرب).

٧- أبو الحسن علي بن حازم اللحياني.

٤ - وفيات الأعيان ٦ / ٣٩٦

٥ - وفيات الأعيان ٦ / ٤٠٠

٨- محمد بن مهنا.

٩- محمد بن الحسين بن محمد الطبري النحوي (ابن نجدة).

١٠ - أبو نصر أحمد بن حاتم الباهلي.

١١ - نصران (٦).

تلاميذه :

من تلاميذ ابن السكيت :

١- أبو جعفر أحمد بن فرح بن جبريل الضرير المقرئ.

٢- أبو بشر اليمان بن أبي اليمان البندنجي.

٣- أبو شعيب عبد الله بن الحسن بن أحمد بن أبي شعيب الحراني.

٤- أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عاصم التميمي (الخزنبلي)

٥- أبو حنيفة أحمد بن داود الدينوري.

٦- داود بن الهيثم بن إسحاق التنوخي الأنباري.

٧- أبو سعيد الحسن بن أبي الحسين بن عبيد الله بن عبد الرحمن بن العلاء بن أبي صفرة

بن المهلب العتكي (السكري)

٨- أبو الحسن الطيان.

٩- عبد الله بن محمد بن رستم.

١٠ - أبو عكرمة عامر بن عمران بن زياد الضبي.

١١ - محمد بن عجلان الأخباري.

٦ - ينظر : مراتب النحويين ٨٩ ، ٩٦ ، ومعجم الأدباء ١٨ / ١٨٨ ، و ١٩ / ٥٢ و ٥٠ / ٢٠ ، وبغية الوعاة ٢ / ١٨٥ ، ٣١٦ ، ٣٤٩ ، وإنباه الرواة ١ / ٣٦ ، و ٣ / ٣٤٩ ، وتهذيب اللغة ١ / ٢٣ ، و نزهة الألباء ١٧٨ ، وتاريخ بغداد ١٤ / ٢٧٣ ، و العبر ١ / ٤٤٣ ، و وفيات الأعيان ٥ / ٤٣٨ ، و طبقات ابن شهبة ٢ / ٣٠٦ ، و مجالس العلماء ٧ / ١٦٣ ، و الفهرست ٢٣١

١٢ - المفضل بن سلمة بن عاصم.

١٣ - أبو الفضل ميمون بن هارون بن مخلد بن أبان (الكاتب) (٧).

مصنفاته :

لابن السكيت من التصانيف العديد من المصنفات ، ومن أشهرها : " إصلاح المنطق " ، قال بعض العلماء: ما عبر على جسر بغداد كتاب في اللغة مثل " إصلاح المنطق " ، ولأهميته صار الكتاب يُنسب إليه ، فيقال : في ترجمة أحد العلماء قرأ إصلاح ابن السكيت. (٨)

ومن تصانيفه :

- ١ - كتاب " الزبرج " .
- ٢ - وكتاب " الألفاظ " .
- ٣ - وكتاب " المثل " .
- ٤ - وكتاب " المقصور والممدود " .
- ٥ - وكتاب " المذكر والمؤنث " .
- ٦ - وكتاب " الأجناس " .
- ٧ - وكتاب " الفرق " .
- ٨ - وكتاب " السرج واللجام " .
- ٩ - وكتاب " فعل وأفعل " .

٧ - ينظر : طبقات القراء ١ / ٩٥ ، ومعجم الأدباء ٣ / ٢٦ ، ١٨ / ١٨٨ ، و ١٩ / ٥٢ ، ١٦٣ ، و ٢٠ / ٥٠ ،
وبغية الوعاة ١ / ٣٠٦ ، و ٢ / ١٨٥ ، ٣١٦ ، ٣٤٩ ، ٥٠٢ ، ٣٥٢ ، وإنباه الرواة ١ / ٣٦ ، ٤١ ، و ٢ /
١١٥ ، ١٢٠ ، و ٣ / ٣٤٩ ، وتهديب اللغة ١ / ٢٣ ، و نزهة الألباء ١٧٨ ، وتاريخ بغداد ٨ / ٣٨٠ ، ٩ /
٤٣٥ ، و ١٤ / ٢٧٣ ، ووفيات الأعيان ٥ / ٤٣٨ ، و الفهرست ١٢٢ ، ١٢٨ ، ١١٤ ، ٢٣١

٨ - بغية الوعاة ١ / ٤١٩ ، ٢ / ٢٠١

- ١٠ - وكتاب " الحشرات " .
 ١١ - وكتاب " الأصوات " .
 ١٢ - وكتاب " الأضداد " .
 ١٣ - وكتاب " الشجر والنبات " .
 ١٤ - وكتاب " الوحوش " .
 ١٥ - وكتاب " الإبل " .
 ١٦ - وكتاب " النوادر " .
 ١٧ - وكتاب " معاني الشعر الكبير " .
 ١٨ - وكتاب " معاني الشعر الصغير " .
 ١٩ - وكتاب " سرقات الشعراء وما اتفقوا عليه " .
 ٢٠ - وغير ذلك من الكتب. (٩)

شعره :

يُروى لابن السكّيت - رحمه الله - بعضُ الأشعار .

ومنها قوله :

نَفْسِي تَرُومُ أُمُورًا لَسْتُ مَدْرَكُهَا ما دمتُ أحمِزُ ما يأتي به القَدْرُ
 ليسَ ارتحالُكَ في كسبِ الغِنى سَقَرًا لكنَّ مقامُكَ في ضُرِّ هو السَقَرُ (١٠)

وقوله :

٩ - وفيات الأعيان ٦ / ٤٠٠

١٠ - وفيات الأعيان ٦ / ٣٩٧

وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَحُبُّكَ حُبًّا
فَإِذَا مَا سَأَلْتَهُ عَشْرَ فَلَسِ
وَمِنْ شِعْرِهِ قَوْلُهُ :

ظَاهِرُ الْحَبِّ لَيْسَ بِالتَّقْصِيرِ
أَلْحَقَ الْحَبَّ بِاللَطِيفِ الْخَبِيرِ (١١)

إِذَا اشْتَمَلْتُ عَلَى الْيَأْسِ الْقَلُوبُ
وَأُوطِنْتُ الْمَكَارَهُ وَاسْتَقَرَّتْ
وَلَمْ تَرَ لَانْكَشَافِ الضَّرِّ وَجْهًا
أَتَاكَ عَلَى قَنَوطٍ مِنْكَ غَوْتُ
وَكُلُّ الْحَادِثَاتِ إِذَا تَنَاهَتْ

وَضَاقَ لَمَّا بِهِ الصَّدْرُ الْحَبِيبُ
وَأُرْسَتْ فِي أَمَاكِنِهَا الْخَطُوبُ
وَلَا أَعْنَى بِحَيْلَتِهِ الْأَرِيبُ
يَمُنُّ بِهِ اللَّطِيفُ الْمُسْتَجِيبُ
فَمَوْصُولٌ بِهَا فَرَجٌ قَرِيبُ (١٢)

وبنظرة سريعة في هذه المختارات من شعر ابن السكيت نقف على شيء من قيمتها الفنية؛ بدءًا بتنوع أوزانها وتعدد بحورها ، واختلاف قوافيها ، وبناء رويها ، فالبيتان الأولان من البحر البسيط بقافية مطلقة وحرف رويٍّ مضموم ، والبيتان اللذان يليانها من البحر الخفيف برويٍّ مكسور ، والمجموعة الأخيرة جاءت من البحر الوافر بالباء المضمومة التي تتناسب والنجوى والابتهاال كما هو حال الأبيات.

إضافة إلى اشتمال الأبيات في النماذج الثلاثة على العديد من الصور البيانية من الاعتماد على المتقابلات وإثارة التعجب والشكوك ، ليأتي الحل ملائمًا مقننًا كما هو واضح في تصوير السفر الحقيقي الشاق ؛ وهو الإقامة على الضيم والضرر ولو لم يصحبه انتقال حسيٍّ من بلد إلى أخرى .
ومن جماليات شعره فيما بين أيدينا من هذه النماذج ما اشتملت عليه من الموسيقى الداخلية ، من مثل (التصريع) الوارد في كلمتي (القلوب) و (الحبيب) .

١١ - وفيات الأعيان ٦ / ٣٩٩

١٢ - وفيات الأعيان ٦ / ٤٠٠

مع حسن توظيفه للجملّة الاعتراضية الخادمة للمعنى ، والتي تبعدها عن الحشو ؛ وهذا ما نراه في نحو قوله : (أتاك - على قنوط منك - غوث) .

كما نرى من خلال هذه النماذج الدقة في اصطفاء اللفظ الموظّف في تجلّية المعنى الذي سيق من أجله ؛ من نحو (عُشرِ فلس) ، و (اشتملت ... اليأس) ، و (المكاره واستقرّت) ، و(الأريبُ) ، و (قنوط) ، و (غوث) ، و(يمنُّ) ، و (تناهت) .

إضافة إلى القيمة الموضوعية للنماذج ؛ من خلال إسهام ابن السكّيت في القضايا الحياتية، والموضوعات الاجتماعية ؛ من نحو : السفر في طلب الرزق ، وعدم الرضا بالدون ، واختلاف الأصدقاء وانكشاف حقيقتهم عند الحاجة إليهم ، ومن الحكم المتوالية في الاعتماد على الله - تعالى - والتعلق به - سبحانه ، وانتظار الفرج منه ، وعدم اليأس من الفرج حتى مع استقرار الخطوب في القلوب وروسوها !!

وفي الجملة فإنه يمكن القول بجمال هذه النماذج وحسن سبكها ، وبعدها عن التكلّف .

من أقوال العلماء فيه :

١- قال ثعلب: أجمع أصحابنا أنه لم يكن بعد ابن الأعرابي أعلم بالغة من ابن السكيت. (١٣)

٢- ووصفه الذهبي بأنه : " النحوي المؤدّب ، ديّنٌ خيرٌ ، حجةٌ في العربية ، شيخ العربية " . (١٤)

٣- قال ثعلب : " كان يعقوب ابن السكيت متصرفاً في أنواع العلوم " . (١٥)

١٣ - وفيات الأعيان ٦ / ٣٩٩

١٤ - سير أعلام النبلاء ١٢ / ١٦

١٥ - الفهرست ١١٤

- ٤ - وقال أيضاً : " ما عرفنا له خزينة قطّ " . (١٦)
- ٥ - وقال أيضاً : " أجمع أصحابنا أنه لم يكن بعد ابن الأعرابي أعلم باللغة من ابن السكيت " . (١٧)
- ٦ - قال الأزهري : " كان ديناً فاضلاً صحيح الأدب " . (١٨)
- ٧ - قال عنه ابن الأنباري : " من أكابر أهل اللغة " . (١٩)
- ٨ - قال ابن الأنباري : " سبق أقرانه في الأدب ، مع حظ وافرٍ في السنن والدين " . (٢٠)
- ٩ - قال الفيروز أبادي : " إمام اللغة والنحو والأدب ، ومن أهل الدين والخير " . (٢١)
- ١٠ - قال السيوطي : " له تصانيف كثيرة في النحو ، ومعاني الشعر ، وتفسير دواوين العرب ، زاد فيه على من تقدّمه " . (٢٢)

١٦ - تاريخ بغداد ١٤ / ٢٧٣

١٧ - وفيات الأعيان ٥ / ٤٤١

١٨ - تهذيب اللغة ١ / ٢٣

١٩ - نزهة الألباء ١٧٨

٢٠ - شذرات الذهب ٢ / ١٠٦

٢١ - البلغة ١٨٠

٢٢ - بغية الوعاة ٢ / ٣٤٩

المبحث الأول :

عرض كتاب (الحروف التي يُتكلّم بها في غير موضعها)

أبواب الكتاب :

جاء كتابُ ابنِ السكيتِ (الحروفُ التي يُتكلّم بها في غير موضعها) على أربعة أبواب :

- ١- الباب الأول : في الألفاظ التي وردت مستعارة.
- ٢- الباب الثاني : في الحروف التي جوزتها العرب أو غلطت فيها.
- ٣- الباب الثالث : في الاسمين يغلب أحدهما على صاحبه.
- ٤- الباب الرابع : باب في ما جاء مجموعًا ، وإنما هو اثنان أو واحد في الأصل.

شواهدُ الكتابِ الشعريةُ ، وأمثلهُ :

أولاً : الشاهد الشعري :

حُفِلَ الكتابُ بالعديد من الشواهد الشعرية ، فقد بلغ مجموع الأبيات في الكتاب كِلَهُ

واحدًا وخمسين شاهدًا شعريًا ، ما بين قصيد ورجز .

- ١- كان نصيب الباب الأول منها سبعة عشر شاهدًا.
- ٢- ومثل هذا العدد كان في الباب الثاني.
- ٣- بينما جاءت شواهد الباب الثالث اثني عشر شاهدًا.
- ٤- في حين اقتصر الباب الرابع على خمسة شواهد.

منهجه في إيراد الشواهد :

عدد الأبيات في كل شاهد :

تنوعت طريقة ابن السكيت - رحمه الله تعالى - في إيراد الشاهد الشعري .

فتارة يورد في موضع الاستشهاد بيتًا كاملًا مقتصرًا على ذلك البيت دون سابق ولا لاحق ،

وقد جاء ذلك في ثلاثة وثلاثين موضعًا .

أولها عندما قال : " ... وإنما الأظلاف للشاء والبقر . وقال بعض الأسديين :

سأجعلُ مالي أو سأجعلُ أمره إلى ملكٍ أظلافُه لم تشقِّقِ " (٢٣)

وآخرها جاء في قوله : " ... وإنما للينة الأجياد . قال الأسود بن يعفر :

ولقد أروح إلى التجار مُرجَّلا مَدِلا بمالي لِيُنَّا أجيادي " (٢٤)

وتارة يورد الشاهد بيتين اثنين ، كما في أربعة مواضع من الكتاب .

أولها في قوله : " وقال آخر :

أوعَدني بالسَّجَنِ والأداهِمِ
رِجْلي و رِجْلي شَنْشَةُ المناسِمِ " (٢٥)

وآخرها قوله : " قال الراجز :

حَوَّزها من بُرَقِ الغمِيمِ
أهدأ يمشي مشية الظلِّيمِ " (٢٦)

وفي موضع واحد أورد الشاهد في ثلاثة أبيات ، وهو ما جاء في قوله : " وقال أبو النجم:

بَيِّنَ بَيْنَ القَرَبينِ المنهَلا
يكشِفُ منه بالعِراقِيِّ الدِّلا
وصائِفُ الأجنِ الذي تجلجلا " (٢٧)

٢٣ - الحروف التي يُتكلم بها في غير موضعها ص ٣٥

٢٤ - الحروف التي يُتكلم بها في غير موضعها ص ٥٤ ، وينظر البيت في : المفضليات ٤٥٢ ، وسمط اللآلي ٤٤/١

٢٥ - الحروف التي يُتكلم بها في غير موضعها ص ٣٩

٢٦ - الحروف التي يُتكلم بها في غير موضعها ص ٤٦ ، وينظر : لسان العرب (طمم) ١٥ / ٢٦٤

٢٧ - الحروف التي يُتكلم بها في غير موضعها ص ٤٦ ، وينظر : ديوان أبي النجم

وفي بعض المواضع يكتفي بإيراد شطرٍ واحد ، وذلك في اثني عشرَ موضعًا من الكتاب.
أولها ما جاء في قوله : " وقال أيضًا :
حتى إذا أَلْقَتْ يَدًا في كَافِرٍ" (٢٨)

وآخرها كان قوله : " وقال النابغة :

رَيًّا الروادف بَصَّه المتجرِّد" (٢٩)

وربما اقتصر على أقل من شطر كما في موضع واحد من الكتاب ، وهو قوله : " وقال
الآخر :

عَشِيَّة سَالَ المربدان... " (٣٠)

نسبته الشاهد إلى قائله :

وابن السكيت في ذكره الشواهد الشعرية - مثل غيره من المصنفين - يورد الشاهد
الشعري بذكر قائل البيت في مواضع ، وبعدم ذكره في مواضع أخرى.
حيث بلغت الشواهد المنسوبة إلى أصحابها في الكتاب تسعة وثلاثين شاهدًا.
أولها ما جاء في قوله : " قال الحطيئة :

سَقُوا جَارَكَ العَمِيَانَ لِمَا تَرَكْتَهُ
وقلَّص عن برد الشتاء مشافره" (٣١)

٢٨ - الحروف التي يُتكلم بها في غير موضعها ص ٣٩ ، وينظر ديوان لبيد رضي الله عنه ٣١٦

٢٩ - الحروف التي يُتكلم بها في غير موضعها ص ٥٥

٣٠ - الحروف التي يُتكلم بها في غير موضعها ص ٤٧

٣١ - الحروف التي يُتكلم بها في غير موضعها ص ٥٥

وآخرها كان قوله : " وقال النابغة :

رَبِّا الرِوَادِفِ بَصَّهْهُ الْمَتَجَرِّدُ" (٣٢)

في حين بلغت الشواهد غير المنسوبة في الكتاب اثني عشر شاهداً.

أولها ما جاء في قوله : " وقال بعض الأسديين :

سَأَجْعَلُ مَالِي أَوْ سَأَجْعَلُ أَمْرَهُ
إِلَى مَلِكٍ أَظْلَافُهُ لَمْ تَشَقِّقِي " (٣٣)

وآخرها كان في قوله : " وقال الشاعر :

ثَأْرَتْ الْمِسْمَعِينَ وَقَلْتِ بُؤْءَا
بِقَتْلِ أَبِي فِزَارَةَ وَالْخِيَارِ" (٣٤)

وواضح من خلال المقارنة بين عدد الشواهد المنسوبة وغير المنسوبة ، رجحان كفة ما نسبه ابن السكيت على ما أورده غير منسوب ، وهذا مما يضيف أهمية للكتاب ولا سيما مع تقدم تأليفه. وإعادة النظر في هذه الشواهد الواردة معنا في هذا العرض يتبين ما فيها من قيمة بالغة ، وأهمية واضحة ؛ من حيث استشهاد ابن السكيت - رحمه الله تعالى - على ما يريد تجليله وبيانه من القضايا التي يعالجها ، ويشير إليها ؛ ذلك أننا نجد الشاهد الشعري واضح الدلالة على ما أورده المؤلف في سياقه ، فلا نجد شاهداً غير دالٍّ على القضية التي عالجها ، ولا نجد شاهداً مقحماً ، كما لا نستطيع الوقوف على شاهد يمكن التطرق إليه بأنه متكلف الدلالة في بابه. وهذا من دقة ابن السكيت - رحمه الله تعالى - في إيراد الشاهد ، وتوظيفه في خدمة الموضوع .

إضافة إلى الثراء البين في عدد الشواهد ، وتنوع قائلها ، واختلاف الأوزان ، والمراوحة بين الرجز والقصيد.

٣٢ - الحروف التي يُتكلم بها في غير موضعها ص ٥٥ ، وينظر : ديوان النابغة ٣٩

٣٣ - الحروف التي يُتكلم بها في غير موضعها ص ٣٥

٣٤ - الحروف التي يُتكلم بها في غير موضعها ص ٤٩

الشاهد النثري :

الشاهد النثري لا يمثل إلا أقل القليل مقارنة بالشواهد الشعرية في الكتاب ، بل إنه في حكم النادر ؛ ذلك أن ابن السكيت - رحمه الله تعالى - لم يستشهد إلا بأثر واحد منسوب لسلمان الفارسي - رضي الله عنه - وهو ما ورد في قول ابن السكيت - رحمه الله - : " ومنه قول سلمان - رحمه الله تعالى - : " أحيوا ما بينَ العشاءين " ، أراد : المغرب والعشاء ، وإنما العشاء بعد مغيب الشفق " (٣٥) .

وما سوى ذلك الشاهد فهو نقل عام من نحو قوله : (يُقال) ثم يذكر سنن العرب في كلامها .

منهج ابن السكيت في كتابه

يتبع ابن السكيت - رحمه الله - في كتابه نجده حريصاً على بيان معاني الأبيات الشعرية بشرح مفرداتها ، وبيان مراد الشاعر من البيت .

ومن بيانه معنى البيت بعد إيراده ما جاء في قوله : " وقال أوس بن حجر :

وذاث هِدْمٍ عارٍ نواشُرُها تُصْمِتُ بالماءِ تَوْلَبًا جَدِعا

فجعل صبيها تَوْلَبًا ، وإنما التولب ولد الأتان ، ومعنى البيت يقول : بكى ابنها ، ولم تجد له

لبناً ، فأسكتته بالماء " (٣٦)

أما إيراده معاني الألفاظ دون شرح لمعنى الشاهد كاملاً فمن نحو ما جاء في موضع قريب مما سبق ، وذلك في قوله : " وقال النابغة :

كَأَنَّ تَوَالِيَهَا بِالضَحَى نَواعِمُ جَعَلٍ مِنَ الأَثابِ

والجعل : الصغير من النخل . والأثاب : شجر " (٣٧)

تشجير الشاهد الشعري وتتبعه تاريخياً :

٣٥ - الحروف التي يُتكلم بها في غير موضعها ص ٤٩

٣٦ - الحروف التي يُتكلم بها في غير موضعها ص ٣٨ ، وينظر : ديوان أوس بن حجر ٥٥

٣٧ - السابق

مما يُذكر لابن السكيت - رحمه الله - أنه ربما تتبع الشاهد البلاغي تأريخيًا ؛ بحيث يذكر معنى في بيت ، ويشير إلى كون الشاعر المتأخر صاحب هذا البيت قد أخذ المعنى من شعر سابق ، وأخذه عنه شاعر لاحق ، وفي هذا منهج لتشجير الشاهد ، وتتبع أصل المعنى ، وكيفية تطوره .
ومن ذلك ما جاء عند إيراده شاهدًا لليد - ﷺ - " وقال أيضًا :
حتى إذا ألقث يدًا في كافرٍ

يعني أن الشمس ألقث يدها في الليل ، أخذه (لييد) من (ثعلبة بن صُعبير) جاهلي قديم ، وأخذه (ذو الرمة) من (لييد) ، فقال :
وأيدي الثريا جُنْحٌ في المغارب (٣٨)

مصادره في الكتاب :

أخذ ابن السكيت - رحمه الله تعالى - عن عدد من العلماء الذين شافهوا الأعراب ، وخالطوهم ، من مثل الأصمعي - رحمه الله تعالى - وغيره .
ويتتبع المواضع التي أحال فيها ابن السكيت إلى العلماء نجده قد نقل عن الأصمعي - رحمه الله تعالى - في خمسة مواضع ، من نحو قوله : " قال الأصمعي : يقال : جاء حافيًا مشقق الأظلاف ، إذا جاء مشقق القدمين ، وإنما الأظلاف للشاء والبقر " (٣٩) .
كما نقل عن الفراء - رحمه الله تعالى - في موضع واحد ، عندما قال : " وقال الفراء : أخبرني معاذُ الهراء : لقد قيل " سُنَّةُ العُمَريْنِ " قبلَ عمر بن عبد العزيز " (٤٠) .
وهذا التوضيح مما يزيل اللبس في كون الشاهد غير داخل في التغليب ، بحيث إن القول ورد قبل أن يكون الخليفة الصالح (عمر بن عبد العزيز) - رضي الله عنه - فلا يتطرق الاحتمال بأن المراد بالعمريين : عمر بن الخطاب ، وعمر بن عبد العزيز - رضي الله عنهما - وحينئذ فلا يدخل في التغليب ، وإنما يتمحّض في التثنية ، والمراد من إيراد المقولة إنما هو الاستشهاد على (التغليب)

٣٨ - السابق ٣٩

٣٩ - الحروف التي يُتكلم بها في غير موضعها ص ٣٥ ، وينظر في نقله عن الأصمعي : ص ٤٥ ، ٤٨ ، ٥٢ ، ٥٢

٤٠ - الحروف التي يُتكلم بها في غير موضعها ص ٤٨

بتغليب لفظ عمر على لفظ (أبي بكر) - رضي الله عنهما - وبذلك يستقيم الشاهد لما أُورد من أجله.

وكذلك فعل في نقله في موضع واحد عن أبي عبيدة - رحمه الله تعالى - عندما قال : " وقال أبو عبيدة : يقال لأحدهما : زَهْدَم ، وللآخر : كَرْدَم " (٤١)

في حين أنه نقل نقلين دون تسمية مَنْ نقلَ عنه ، ومن ذلك ما جاء في قوله بعد ما نقل عن الأصمعي : " و قال غيره : الأجدان ، والملوان ، والجونان : الليل والنهار . وقال غيره : الجفان : بكر وقيم " (٤٢)

٤١ - الحروف التي يُتكلم بها في غير موضعها ص ٤٥

٤٢ - الحروف التي يُتكلم بها في غير موضعها ص ٥٢

المبحث الثاني :

بين كتاب ابن السكيت وبعض المصادر البلاغية الأخرى

بالتأمل في بعض المصادر البلاغية المهمة نقف على بعض الشواهد فيها مما ورد في كتاب ابن السكيت - رحمه الله تعالى -

سأورد في هذا المبحث بعض هذه الشواهد لنقف على شيء من منزلة (ابن السكيت) البلاغية ، سواءً أفادت تلك المصادر من (ابن السكيت) مباشرة ، أم أنها أخذت عن غيره ، ربما ممن كان (لابن السكيت) تأثير عليه.

إذ إنّ الهدف من هذا المبحث بيان ورود شواهد بلاغية في كتاب (ابن السكيت) ، مما يؤكد ما للرجل من سبق في إشارات البلاغية. ومن هذه الشواهد ما يلي :

الشاهد الأول :

ما جاء في قول ابن السكيت - رحمه الله - : " وقال بعض الأسديين :

سأجعلُ مالي أو سأجعلُ أمره إلى ملكٍ أظلافُه لم تشقِّقِ " (٤٣)

وهذا الشاهد مما جرت فيه الاستعارة في لفظ (أظلاف) حيث شبه الإنسان بحيوان ، وحذف المشبه به ، ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو (الأظلاف) على سبيل الاستعارة المكنية ، الأصلية .

وهنا نقف على استشهاد (أبي هلال العسكري) حول هذا الشاهد حيث قال في حديثه عن الاستعارة الرديئة ، حيث أورد البيت الشاهد مع اختلاف يسير في شطره الأول : " وأما القبيح الذي لا يشك في قباحته فقول الآخر

سأمنعها أو سوف أجعلُ أمرها إلى ملكٍ أظلافُه لم تشقِّقِ " (٤٤)

٤٣ - الحروف التي يتكلم بها في غير موضعها ص ٣٥ ، وينظر : جمهرة اللغة ٣ / ٤٩٠

٤٤ - كتاب الصناعتين ص ٣٠١

ومثله ما ذكره الشيخ عبد القاهر الجرجاني عند الشاهد نفسه مع تعليق الشيخ عليه ، حيث يقول : "

سأجعلُ مالي أو سأجعلُ أمره إلى ملكٍ أظلافُه لم تشقِّقِ
هو في حد التشبيه والاستعارة لأن المعنى على أن الأظلاف لمن تزى بالملك عن مشابهة؛
كأنه قال: اجعل أمرها إلى ملك ، لا إلى عبد جاف متشقق الأظلاف" (٤٥) ، وذلك بعد كلام
طويل يدلُّ على النَّفس التحليلي للشيخ عبد القاهر ، وقدرته على جمع المتشابه ، مع الدقة على
التفريق بين المشابهات ، والغوص في الدقائق ، بأسلوب أخذ ، دون استنقاص ولا حطٍّ من فضل
المتقدمين ، بل بالاعتراف بالفضل للمتقدم في تدوين مثل هذ الشواهد من نحو ابن السكيت
ومعاصريه - رحمهم الله جميعاً -

وكذلك فعل (الأمدي) عندما أورد الشاهد في الاستعارات القبيحة ، حيث وصف بعض
الاستعارات بأنها في نهاية القبح ثم أورد البيت الشاهد على أنه من ذلك النوع فقال : " وكذلك قول
الآخر:

سأمنعها أو سوف أجعلُ أمرها إلى ملكٍ أظلافُه لم تشقِّقِ" (٤٦)
ولم يعقب الأمدي عليه بتعليق ، بل اكتفى بذكره من الاستعارات القبيحة ، وذلك لما في
لفظ (أظلاف) من استعارة قبيحة.

الشاهد الثاني :

ما جاء في قول ابن السكيت - رحمه الله - : " قال الحطيئة :

سَقَوْا جَارَكَ العِمِيَانَ لما تركته وقلصَ عن برد الشتاء مشافره" (٤٧)

٤٥ - أسرار البلاغة ٢٩

٤٦ - الموازنة ص ١٢

٤٧ - الحروف التي يُتكلم بها في غير موضعها ص ٣٦ ، وينظر : ديوان الحطيئة ١٨٤

وقد جرت الاستعارة في هذا الشاهد في لفظ (مشافر) حيث شبه الإنسان بحيوان ذي مشافر ، وحذف المشبه به ، واقتصر على (المشافر) وهي جزء من المشبه به ، وهذا الإجراء هو ما اصطاح عليه علماء البلاغة بالاستعارة المكنية الأصلية.

وهذا الشاهد مما عدّه (الأمدي) في (الموازنة) من رديء الاستعارة (٤٨) وقد وصفه ابن طباطبا بأنه " من الأبيات المستكرهة الألفاظ القلقة القوافي، الرديئة النسج، فليست تسلم من عيب يلحقها في حشوها ، أو قوافيها، أو ألفاظها، أو معانيها "(٤٩). وكذلك فعل المرزباني بوصفه بالأوصاف ذاتها (٥٠).

وهكذا فقد تناقل العلماء - رحمهم الله تعالى - هذا الشاهد عادّين إياه من الشواهد المعيبة ؛ لرداءة الاستعارة الواردة فيه ، وللقلق الذي لحق ألفاظه ، حتى إن قارئ هذا البيت لا يكاد يشعر فيه من الشعر إلا وزنه ، فلا عاطفة ، ولا خيال ، ولا حسن تصوير ، ولا روعة بيان.

الشاهد الثالث :

ما جاء في قول ابن السكيت - رحمه الله - : "...

فما رَقَدَ الْوِلْدَانُ حَتَّى رَأَيْتُهُ عَلَى الْبَكْرِ يَمْرِيهِ بِسَاقٍ وَحَافِرٍ" (٥١)

وهذا الشاهد قد اشتمل على استعارة مكنية أصلية ، لأن الشاعر حذف اللفظ المستعار وهو الحيوان ، وأبقى أحد أجزائه ، وهو (الحافر) الذي يقابل القدم في المستعار له وهو الإنسان. وقد أورده ابن طباطبا " من الأبيات المستكرهة الألفاظ القلقة القوافي..." (٥٢).

٤٨ - ينظر : الموازنة ص ١٢

٤٩ - عيار الشعر ص ٣٠

٥٠ - ينظر : الموشح للمرزباني ص ٢٢

٥١ - الحروف التي يتكلم بها في غير موضعها ص ٣٧ ، وينظر : حماسة ابن الشجري ٢٨٥

٥٢ - عيار الشعر ص ٣٠

وعده قدامة مما يدخل في عيب (المعازلة) ، وأنه لجريانه هذا المجرى من الاستعارة فهو قبيح لا عذر فيه. (٥٣).

وأورد الآمدي هذا الشاهد على أنه " استعارة في نهاية القبح " (٥٤) وحول هذا البيت يطنب الشيخ عبد القاهر في (أسرار البلاغة) فيذكر البيت الشاهد ، ويورد ما قبله ، وما بعده ، وينتصر إلى عدم كونه من الاستعارات الرديئة ، وذلك بأسلوب الشيخ المميز في التحليل ، وذلك عندما أشار إلى احتمال أن الشاعر أراد الحافر وقصد ذلك اللفظ قصداً ، فقال : " فليس بالبعيد أن يكون فيه شوب مما مضى وأن يكون الذي أفضى به إلى ذكر الحافر قصده أن يصفه بسوء الحال في مسيره وتقاذف نواحي الأرض به ، وأن يبالغ في ذكره بشدة الحرص على تحريك بكره واستفراغ مجهوده في نفسه " (٥٥).

في حين ذهب أبو هلال العسكري إلى عدم جعل هذا الشاهد من (المعازلة) بل هو من البُعد في الاستعارة ؛ ذلك أن (المعازلة) كما يقول العسكري : " المعازلة في أصل الكلام إنما هي ركوب الشيء بعضه بعضاً ، وسمي الكلام به إذا لم ينضد نضداً مستويًا وأركب بعض ألفاظه رقاب بعض ، وتداخلت أجزاءه ؛ تشبيهاً بتعاضل الكلاب والجراد " (٥٦).

وخطأ العسكري قدامة بن جعفر في عده البيت الشاهد من المعازلة واصفاً إياه بالغلط الكبير من قدامة (٥٧) ، وقد أجاد العسكري فيما ذهب ؛ استناداً إلى المعنى اللغوي للمعازلة كما بينه في مناقشته ، وكما تشهد له المعاجم اللغوية . (٥٨)

٥٣ - ينظر : نقد الشعر ص ٣٢

٥٤ - الموازنة ص ١٢

٥٥ - أسرار البلاغة ٢٩

٥٦ - كتاب الصناعتين ص ١٦٣

٥٧ - ينظر : كتاب الصناعتين ص ١٦٣

٥٨ - ينظر - مثلاً - لسان العرب (عطل) ١١ / ٤٥٦

الشاهد الرابع :

ما جاء في قول ابن السكيت - رحمه الله - : " وقال النابغة

كأنَّ تواليها بالضحي نواعيمُ جعلٍ من الأثابِ " (٥٩)

حيث أورده القاضي الجرجاني في الوساطة في معرض حديثه عن أغاليط الشعراء ، وهو من قبيل ما عدّه العلماء من أغاليطهم في المعاني (٦٠) ، والسبب في رداءة هذه الاستعارة هو كون معنى (الجعل صغار النخل، ومراد الشاعر في البيت كبار النخل ، فأخطأ في المعنى.

الشاهد الخامس :

ما جاء في قول ابن السكيت - رحمه الله - : " قال الأسود بن يعفر :

مِنْ صُنِعِ داوَدَ أَبِي سَلامٍ " (٦١)

حيث ذكره قدامة تحت مصطلح (التغيير) قائلاً : " التغيير: وهو أن يحيل الشاعر الاسم عن حاله وصورته إلى صور أخرى، إذا اضطرته العروض إلى ذلك " (٦٢).
وتابعه على ذلك الإمام السيوطي (٦٣) ، ذلك أنّ مراده أن يقول : صنع داود أبي سليمان - عليهما السلام - ولكن ضرورة الوزن ألجأته إلى تغيير اسم النبي (سليمان) - عليه السلام - إلى ما ذكر في البيت.

٥٩ - الحروف التي يُتكلم بها في غير موضعها ص ٣٧

٦٠ - الوساطة بين المتنبي وخصومه ص ٣

٦١ - الحروف التي يُتكلم بها في غير موضعها ص ٤٠ ، وينظر : تاج العروس (سلم) ٨ / ٣٤٤

٦٢ - نقد الشعر ص ٤١

٦٣ - المزهر في علوم اللغة ٢ / ٤٢٤

ومما يدخل في البيت ما يُعرف بـ(استدعاء التراث) ، وهو تضمن النص الإبداعي إشارات إلى أحداث تاريخية ، أو أعلام ، يكون بذكرهم في النص استدعاء لهم في النص الحالي لتذكر ذلك الحدث ، وتلك الشخصية ، وأخذ العبرة من ذلكم الاستدعاء ؛ إمّا بالاقتران أو بالانتهاء . وهذا ما حصل في هذا البيت في ذكر شخصيتين مهمتين عبر تأريخ البشرية جمعاء ، وهما شخصيتا النبيين الكريمين (داود) و (سليمان) على نبينا وعليهما الصلاة والسلام .

الشاهد السادس :

ما جاء في قول ابن السكيت - رحمه الله - : " وقال الخطيئة :

فيها الرِّمَاحُ وفيها كلُّ سَابِغَةٍ
جَدَلَاءِ مَبْهَمَةٍ مِنْ نَسِجِ سَلَامٍ " (٦٤)

وهذا الشاهد قد استشهد به السيوطي في معرض حديثه عن العيوب التي تخل بفصاحة اللفظ المفرد ، ومن تلك العيوب (مخالفة القياس) ، يعني القياس اللغوي للفظة ، حيث أورد عدداً من الشواهد ، ومنها هذا البيت ؛ ويعني بمخالفته القياس عدوله من صيغة إلى صيغة أخرى؛ حيث عدل من صيغة (سليمان) إلى صيغة (سلام) ، وهو بذلك يكون قد خرج باللفظ من كونه فصيحاً إلى معيب (٦٥).

الشاهد السابع :

ما جاء في قول ابن السكيت - رحمه الله - : " وقال النابغة :

وكلَّ صموتٍ نثلةٍ تُبَعِّيَّةٍ
ونسجِ سُلَيْمٍ كلَّ قَضَاءٍ ذَائِلٍ " (٦٦)

وهذا الشاهد - أيضاً - أوردته قدامة تحت شواهد (التغيير) حيث بيّن أنّ (التغيير) : أنْ يحيل الشاعر الاسم عن حاله وصورته إلى صور أخرى، إذا اضطرت العروض إلى ذلك (٦٧) ، وهذا

٦٤ - الحروف التي يُتكلم بها في غير موضعها ص ٤١

٦٥ - ينظر : المزهر في علوم اللغة ١ / ١٥١

٦٦ - الحروف التي يُتكلم بها في غير موضعها ص ٤١

٦٧ - ينظر : نقد الشعر ص ٤١

ما حدا بالشاعر إلى تغيير اسم (سليمان) إلى (سُليم) ، فغيّر في اللفظ مراعاة للوزن ، وهو مما أطلق عليه قدامة عيوب ائتلاف اللفظ والوزن .
وقد تابعه على ذلك السيوطي (٦٨) .

الشاهد الثامن :

ما جاء في قول ابن السكيت - رحمه الله - : " وقال المفضل النُّكْرِيّ :
وسائِلَةٌ بثعلبَةٍ بن سَيْرٍ وقد عَلِقَتْ بثعلبَةَ العُلُوْقُ " (٦٩)

أورده السيوطي في (معرفة أغلاط العرب) ذلك أنّ الشاعر يريد ثَعْلَبَةَ بن سيار (٧٠) فغلط وقال ما قال ، (٧١) ، وهو - ولا شك - من العيوب والأغلاط البيّنة ، وكان للشاعر مندوحة لو قدّم وأخّر في الألفاظ ، خاصة مع سهولة تفعيلات (البحر الوافر) ، فلو بدأ بالاسم لاستقام الوزن ؛ كأن يقول - مثلاً - : " بثعلبَةَ بنِ (سِيَارٍ) ... " ، أو نحو ذلك من التغييرات التي تنأى بالشاعر عن مثل هذا الغلط .

الشاهد التاسع :

ما جاء في قول ابن السكيت - رحمه الله - : " وقال :

مثل النَّصَارَى قَتَلُوا الْمَسِيحَا " (٧٢)

٦٨ - المزهر في علوم اللغة ٢ / ٤٢٤

٦٩ - الحروف التي يُتَكَلَّمُ بها في غير موضعها ص ٤٢ ، وينظر : الأصمعيات ٢٣٥ ، والحماسة للبحرّي ٦٢

٧٠ - تشير المصادر إلى ابنه حنظلة وأنه من رجال يوم ذي قار ، ينظر جانب من سيرته في : نهاية الأرب في فنون

الأدب ١٥ / ٣٣٠

٧١ - المزهر في علوم اللغة ٢ / ٤٢٤

٧٢ - الحروف التي يُتَكَلَّمُ بها في غير موضعها ص ٤٢

أورد القاضي الجرجاني هذا البيت في معرض حديثه عن (ما عاب العلماء على أبي الطيب) (٧٣).

في حين أورده أسامة بن منقذ في الشواهد التي جاء فيها (الغلط) ، وعرفه بقوله : " اعلم أن الغلط هو أن يغلط في اللفظ ويغلط في المعنى "...مثل النصارى قتلوا المسيحاً. والنصارى لم تقتل المسيح، إنما قتلته بزعمهم اليهود ... " (٧٤) .

ثم نقل أسامة بن منقذ احتجاج ابن جني لهذا البيت ، ورفع الخطأ عنه بهذا التعليل الجميل ، إذ قال : " وقد احتج له ابن جني، فقال: إن النصارى لما قالوا: إن المسيح قُتل وصُلب نُسب إليهم قُتله ، كما قال الله تعالى: **چڈ ڈ ڈ ڈ ڈ ڈ ڈ ڈ ڈ ڈ ڈ** سورة النساء ٨٨ أي ففة تقول: إنهم مسلمون، و ففة تقول: إنهم مشركون. وقال تعالى: **چڈ ڈ ڈ ڈ ڈ ڈ ڈ ڈ ڈ ڈ ڈ** سورة النساء ٨٨ ، فنسب إليهم الهداية لأنهم سموهم مهتدين " (٧٥) ، وهو توجيه لطيف من ابن جني يمكن الاتكاء عليه للإخراج البيت من دائرة الأغلط.

الشاهد العاشر :

ما جاء في قول ابن السكيت - رحمه الله - : " وقال ابن أحمـر :

لَمْ تَدْرِ مَا نَسَجَ الْيَرْتَدِجُ قَبْلَهَا " (٧٦)

أورد أبو هلال العسكري هذا الشاهد في فصل عقده بعنوان : " التنبيه على خطأ المعاني وصوابها في التنبيه على خطأ المعاني وصوابها ؛ ليتبع من يريد العمل برسمنا مواقع الصواب ، فيرتسمها ، ويقف على مواقف الخطأ ، فيتجنبها " (٧٧).

٧٣ - الوساطة بين المتنبئ وخصومه ص ١٢٤

٧٤ - البديع في نقد الشعر ص ٣٢

٧٥ - البديع في نقد الشعر ص ٣٢

٧٦ - الحروف التي يتكلم بها في غير موضعها ص ٤٣ ، وينظر : الشعر والشعراء ١ / ٣٥٩

٧٧ - كتاب الصناعتين ص ٢٤

وعَدَّ البيت الشاهد من (طرائف الغلط) ، وعلّق العسكري مبيّنًا وجه الغلط في البيت فقال: "ظن أن اليرندج مما ينسج ، واليرندج جلدٌ أسودٌ تُعمل منه الخفاف ، فارسيّ معرّب ، وأصله رنده " (٧٨) .

واستشهد به السيوطي مع شواهد عديدة في (معرفة أغلاط العرب) (٧٩) ، مع تعليق يسير مؤداه ما ذكره العسكري ، مما أوردته آنفًا.

الشاهد الحادي عشر :

ما جاء في قول ابن السكيت - رحمه الله - : " وقال حميد بن ثور :

لما تزايلت الخيولُ حَسِبْتَهَا دَوْمًا بِأَثَلَةٍ نَاعِمًا مَكْمُومًا " (٨٠)

أورده القاضي الجرجاني عندما ذكر (أغاليط الشعراء) التي قال فيها : " فانظر هل تجد فيها قصيدة تسلّم من بيت أو أكثر لا يمكن لعائب القُدْح فيه؛ إما في لفظه ونظمه، أو ترتيبه وتقسيمه، أو معناه، أو إعرابه؟ " (٨١) .

وبيّن الجرجاني أن سبب الغلط هو أنّ الدَّوم لا أكمام له (٨٢) ، ثم أكّد احتمال الغلط من الجميع بقوله : " هذا ما يعرفونه صباحًا مساءً ، ويمارسونه على طول الدهر؛ فدغ ما يخفى عليهم ويبيعد عن أبصارهم " (٨٣) .

٧٨ - كتاب الصناعتين ص ٢٤

٧٩ - المزهر في علوم اللغة ٢ / ٤٢٦

٨٠ - الحروف التي يُتكلم بها في غير موضعها ص ٤٣

٨١ - الوساطة بين المتني وخصومه ص ٢

٨٢ - ينظر حول الدوم : لسان العرب (دوم) ١٢ / ٢١٢

٨٣ - الوساطة بين المتني وخصومه ص ٢

وكذلك فعل السيوطي عندما أورد هذا الشاهد في حديثه عن (معرفة أغلاط العرب) ،
مبيِّناً أن الدوم شجر المقل ، والمكموم لا يكون إلا النخل ؛ فظنَّ أنّ الدوم النخل " (٨٤).

الشاهد الثاني عشر :

ما جاء في قول ابن السكيت - رحمه الله - : " كما قال الفرزدق :

لنا قمرها والنجوم الطوالع " (٨٥)

استشهد السيوطي بهذا الشاهد في مبحث عقده بعنوان (ذكر المثني على التغليب) ؛ لأنه
إذا اجتمع اسمان من جنس واحد وكان أحدهما أخفَّ على أفواه القائلين غلبوه ، فسَمَّوا الأخيرَ
باسمه (٨٦) ، و (التغليب) باب من اللغة بديع ، ذو جرس أنيق ؛ كما هو مشاهد في غالب
أمثله .

ومما يُذكر من اللطائف حول هذا البيت والتغليب الوارد في لفظ (قمرها) ما جاء في
حكاية أدبية طويلة دارت بين المفضل الضبي والكسائي في مجلس الخليفة الرشيد ، ذلك أن المفضل
الضبي أورد في آخر المجلس فائدة لم يذكرها مناظره الكسائي ، وهي التي نالت استحسان الخليفة ،
وذلك على النحو الآتي : قال المفضل للخليفة الرشيد بقي ذكر " الفائدة التي أجزاها الشاعر المفتخر
في شعره . قال : وما هي ؟ قلت : أراد بالشمس إبراهيم خليل الرحمن - عليه السلام - وبالقمر محمداً -
عليه السلام - وبالنجوم الخلفاء الراشدين من آبائك الصالحين . قال : فاشربْ أمير المؤمنين ، ثم قال : يا
فضل بن الربيع ! احمل إليه مئة ألف درهم ، ومئة ألف لقضاء دينه " (٨٧).

الشاهد الثالث عشر : (كلمات سمعت عن العرب)

٨٤ - المزهر في علوم اللغة ٢ / ٤٢٧

٨٥ - الحروف التي يُكلم بها في غير موضعها ص ٤٦ ، وينظر : ديوان الفرزدق ٥١٩

٨٦ - ينظر : المزهر في علوم اللغة ٢ / ١٧٠

٨٧ - المزهر في علوم اللغة ٢ / ١٧٠

أعني بها ما أورده ابن السكيت - رحمه الله - من كلمات سُمعت عن العرب من باب التغليب ، أو غيره ، حيث نجد السيوطي يذكرها في (المزهر) ذِكْرًا يكاد يكون - في بعض المواضع - قريبًا من النصّ ؛ وينسبها إلى ابن السكّيت في كتابه (المثني) ومنها الكلمات التالية : (الشعثمان ، والمهالبة ، والأصامعة ، والمسامعة ، والأشعرون ، والمعاول ، والقنقيات ، والرقيدات ، والجَبَلات ، والعبَلات ، والأحمران ، والمشافر ، والأجباد ، والقطيّيات ، والعَرَمات ، وغيرها) (٨٨).

ومن كلّ ما سبق في هذا المبحث يتبيّن لنا ما تناقله البلاغيون في مصنفاتهم من شواهد وجدناها عن (ابن السكيت) في كتابه (الحروف التي يُتكلم بها في غير مواضعها) ، وهذا يدلّ على جهد بلاغي للرجل - رحمه الله تعالى - يُضاف إلى ما اشتهر به من كونه عالماً لغويًا نحويًا. وحسبنا أن نرى للرجل - مع تقدم عصره ، والفضل للمتقدم - أن نرى له ما يربو على الخمسين شاهدًا ، تناقلت كتب البلاغيين أغلبها ، كما بيّنتُ ذلك في هذا البحث .

لا سيما إذا وجدنا كبار البلاغيين ممن يقيم دراساته على تلك الشواهد ؛ من أمثال قدامة ، وأبي هلال ، وعبد القاهر ، والآمدي ، والقاضي الجرجاني ، فالسيوطي - رحمهم الله جميعًا - مع أنه ليس مطلوبًا من ابن السكّيت أن يستفيض في بحث المسائل البلاغية ، فليس من العدل أن نحاكمه بميزان البلاغيين ؛ لسببين اثنين : الأول : تقدّم عصره ، وطبيعته ، التي كانت جمعًا أكثرَ منها تحليلًا ، والسبب الثاني : أن الرجل في العموم عالم لغويّ ، وليس بلاغيًا.

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على الرسول الأمين ، أما بعد
فقد وصلت بتوفيق الله - تعالى - وتيسيره إلى نهاية المطاف في بحثي هذا عن
كتاب مهم هو كتاب (الحروف التي يُتكلم بها في غير مواضعها) لإمام لغوي كبير هو أبو
يوسف يعقوب بن إسحاق ابن السكيت رحمه الله تعالى .

وقد عشت مع هذا البحث في مقدمته ، وتمهيده ، ومبحثيه ؛ متوصِّلاً من خلال
ذلك إلى عدة نتائج ، منها :

١- بيان شيء من الأهمية البلاغية لهذا الكتاب ، وذلك يتضح باشمال الكتاب
على شواهد متفرقة استطاع ابن السكيت - رحمه الله تعالى - جمعها ، وأحسن تصنيفها
في أبواب أربعة متناسقة .

٢- ثراء الكتاب بالشواهد البلاغية الذي صار الكثير منها مادة لدى البلاغيين .

٣- نقل العلماء بعضهم عن بعض في الشواهد التي كان للمتقدمين (ومنهم ابن
السكيت) فضل في إيرادها .

٤- وجود بعض المصطلحات البلاغية لدى ابن السكيت ؛ من نحو (الاستعارة)،
و (السببية) ، و (التغليب) ، و (التعبير بالجمع والمراد الاثنان والواحد).

٥- إبراز الجانب البلاغي لابن السكيت ؛ حيث أشتهر بكونه عالماً لغوياً ، فإن
تطرقه لموضوعات بلاغية من نحو الاستعارة ، والإكثار من أمثلتها ، والتغليب والإفاضة في
أمثلته ، من دلائل الجهد البلاغي لدى ابن السكيت رحمه الله تعالى .

٦- وضوح تأثير السيوطي بابن السكيت تأثراً بيّناً ، فيما ينقل عنه من شواهد .

٧- أهمية الرجوع إلى المصادر المتقدمة في اللغة ، وإبرازها للمتلقين .

٨- تسليط الضوء على الجانب البلاغي المبثوث في صفحات هذا البحث ، على

قائمة كبيرة في حجم العالم الإمام ابن السكيت ، يُعدُّ إضافة إلى أهل التخصص البلاغي .

وأوصي في ختام هذا البحث بعدة توصيات :

١- أوصي بالرجوع إلى المصادر الأصيلة في اللغة ، والأدب ، والبلاغة .
٢- من الجميل إثارة التساؤلات والإجابة عنها ؛ بألا يُحكم على أحد العلماء - مثلاً - بأنه في تخصص معيّن ، لا يتجاوزه إلى غيره ، فالمتبادر إلى الذهن قبل الوقوف على جهد ابن السكيت - رحمه الله تعالى - البلاغي في هذا الكتاب ، المتبادر إلى الذهن اقتصار الرجل على ما أشتهر به من الجوانب اللغوية ، وشرح الدواوين الشعرية ، ولكن التساؤل هنا ألا يوجد لكثير من العلماء كتبٌ أو رسائل في غير الفن الذي أشتهروا به وعُرفوا من خلاله ؟ الذي أعتقد أنه الجواب : بلى . ولكن أين المنقّبون عن مثل هذه اللطائف ، وتلك الكنوز ؟

٣- أوصي بإحياء (التشجير) للشاهد البلاغي ، ففيه معرفة بتطور الشاهد وتنقله من قائل لآخر ، وتوظيف ذلك في خدمة الدرس البلاغي ، فهذا مهم في الاعتراف بالفضل للسابق ، وتقدير جهود اللاحقين ، مع الوقوف على (التطور الدلالي) للمصطلح البلاغي ، أو للشاهد البلاغي ، وكيف تتوالد المعاني بين الشعراء ، وتقاطع ذلك مع ما يُعرف لدى العلماء بـ) السرقات الشعرية).

أسأل الله - تعالى - أن يجعل هذا البحث مباركاً ، وأن يجعله خالصاً لوجه الله الكريم ، وأن يرحم الإمام ابن السكيت ، ويجزيه عن العلم وأهله خيره ، وأن يغفر لكاتب هذا البحث ، ووالديه ، ومشايخه ، والمسلمين أجمعين .

والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله وسلم ، وزاد وبارك وأنعم ، على خير عباد الله محمد بن عبد الله ، وصحبه ، وأزواجه ، وآل بيته الطاهرين .

المصادر والمراجع

١. أحكام النحويين البصريين ومراتبهم وأخذ بعضهم من بعض : أبو سعيد السيرافي ، تحقيق د. محمد إبراهيم البنا ، دار الاعتصام ، الطبعة الأولى ١٤٠٥ هـ .
٢. أسرار البلاغة في علم البيان للإمام عبد القاهر الجرجاني ، تحقيق السيد محمود شاكر ، دمكتبة الخانجي - ١٩٩١ م
٣. الأصمعيات ، لعبد الملك بن قريب الأصمعي ، تحقيق أحمد شاكر وعبد السلام هارون ، القاهرة ١٩٥٦ م
٤. إنباه الرواة على أنباه النحاة ، للوزير جمال الدين أبي الحسن علي بن يوسف القفطي ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار الفكر العربي - القاهرة ومؤسسة الكتب الثقافية . بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٠٦ هـ . ١٩٨٦ م
٥. البديع في نقد الشعر ، لأسامة بن منقذ ، تحقيق الدكتور أحمد بدوي ، والدكتور حامد عبد المجيد ، مراجعة الأستاذ إبراهيم مصطفى ، الطبعة دون تأريخ .
٦. بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة لجلال الدين عبد الرحمن السيوطي ، تحقيق محمد أبو الفضل ، دار الفكر - القاهرة ، ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ م
٧. تاج العروس من جواهر القاموس ، لأبي الفيض محمد بن محمد الزبيدي ، القاهرة ١٣٠٦ هـ
٨. تاريخ بغداد أو مدينة السلام للإمام الحافظ أبي بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي ، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية - بيروت ، الطبعة دون تأريخ

- ٩ . تهذيب اللغة ، لأبي منصور الزهري ، تحقيق عبد السلام هارون وآخرين ، القاهرة ،
١٩٦٤ م
- ١٠ . جمهرة اللغة ، ابن دريد الأزدي ، تحقيق كرنكو ، حيدر آباد ، ١٣٥١ هـ
- ١١ . الحروف التي يُتكلم بها في غير موضعها ، يعقوب بن إسحاق السكيت ، تحقيق
د. رمضان عبد التواب ، مطبعة جامعة عين شمس ، الطبعة الأولى ١٩٦٩ م
- ١٢ . الحماسة ، ابن الشجري ، حيدر آباد ، ١٣٤٥ هـ
- ١٣ . الحماسة ، الوليد بن عبيد البحتري ، نشر كمال مصطفى ، القاهرة ١٩٢٩ م
- ١٤ . ديوان أبي النجم ، تحقيق الدكتور سميع جبيلي ، دار صادر - بيروت ، الطبعة الأولى
١٩٩٨ م
- ١٥ . ديوان الخطيئة ، تحقيق نعمان أمين طه ، القاهرة ١٩٥٨ م
- ١٦ . ديوان الفرزدق ، نشر عبد الله بن إسماعيل الصاوي ، القاهرة ١٩٣٦ م
- ١٧ . ديوان النابغة الذبياني ، صنعة ابن السكيت ، تحقيق شكري فيصل ، بيروت ١٩٦٨ م
- ١٨ . ديوان أوس بن حجر ، تحقيق محمد يوسف نجم ، بيروت ١٩٦٠ م
- ١٩ . ديوان ليبيد بن ربيعة العامري رضي الله عنه ، تحقيق إحسان عباس ، الكويت ، ١٩٦٢ م
- ٢٠ . سمط اللآلي في شرح أمالي القالي ، لأبي بكر عبيد البكري ، تحقيق عبد العزيز الميمني
، القاهرة ١٩٣٦ م
- ٢١ . سنن ابن ماجه - تحقيق وفهرسة محمد مصطفى الأعظمي - الطبعة الثانية ١٤٠٤ هـ -
١٩٨٤ م .
- ٢٢ . سنن أبي داود - بتعليق عزت عبيد الدعاس - نشر وتوزيع دار الحديث - الطبعة
الأولى ١٣٩٨ هـ / ١٩٦٩ م .

٢٣. سنن النسائي (المجتبى) ، للإمام أحمد بن شعيب أبو عبدالرحمن النسائي، تحقيق عبدالفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات - حلب، الطبعة الثانية.
٢٤. سير أعلام النبلاء : الإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي -أشرف على تحقيق الكتاب ، وخرج أحاديثه شعيب الأرنؤوط - الطبعة التاسعة ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م .
٢٥. سير أعلام النبلاء ، للإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ، أشرف على التحقيق شعيب الأرنؤوط ، مؤسسة الرسالة - بيروت ، الطبعة التاسعة ، ١٤١٣ هـ - ١٩٣٣ م
٢٦. شذرات الذهب في أخبار من ذهب للمؤرخ أبي الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي ، دار المسيرة - بيروت ، الطبعة الثانية ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م
٢٧. الشعر والشعراء ، لمحمد بن عبد الله ابن قتيبة الدينوري ، تحقيق أحمد شاکر ، القاهرة ١٩٦٦ م
٢٨. صحيح مسلم، الإمام مسلم بن الحجاج القشيري، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي، دار إحياء التراث، بيروت.
٢٩. طبقات الشافعية ، أبو بكر بن أحمد بن محمد بن عمر بن قاضي شهبة ، تحقيق د. الحافظ عبد العليم خان عالم الكتب - بيروت - ١٤٠٧ هـ الطبعة الأولى
٣٠. العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ، عبد الرحمن بن محمد بن خلدون ، الأعلمي للمطبوعات - بيروت ، ١٣٩١ هـ - ١٩٧١ م .
٣١. عيار الشعر ، لابن طباطبا ، تحقيق طه الحاجري ومحمد زغلول سلام ، القاهرة ١٩٥٦ م
٣٢. غاية النهاية في طبقات القراء لمحمد بن محمد الجزري ، دار الكتب العلمية - بيروت ، ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م

٣٣. فهرست ، ابن النديم - طبع بعناية الشيخ إبراهيم رمضان - دار المعرفة - بيروت -
الطبعة الأولى ١٤١٥ هـ .
٣٤. كتاب الصناعتين الكتابة والشعر لأبي هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري ،
تحقيق الدكتور مفيد قمحية ، دار الكتب العلمية - بيروت ، الطبعة الأولى
١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م
٣٥. لسان العرب ، ابن منظور الإفريقي ، بولاق ، ١٣٠٧ هـ
٣٦. مجالس العلماء ، للزجاجي ، تحقيق عبد السلام هارون ، الكويت ١٩٦٢ م
٣٧. معجم الأدباء : ياقوت الحموي - تحقيق : د. إحسان عباس - دار الغرب الإسلامي
- بيروت - الطبعة الأولى ١٩٩٣ م .
٣٨. المفضليات ، لأبي المفضل الضبي ، شرح أبي محمد القاسم بن بشار الأنباري ، تحقيق
لايل ، بيروت ١٩٢٠ م
٣٩. الموازنة بين شعر أبي تمام والبحثري ، للآمدي ، تحقيق السيد صقر ، القاهرة ١٩٦١ م
٤٠. الموشح مأخذ العلماء على الشعراء في عدة أنواع من صناعة الشعر ، لمحمد بن عمران
المرزباني ، تحقيق علي محمد البجاوي ، دار مصر - القاهرة ، ١٣٨٥ هـ .
١٩٦٥ م
٤١. نزهة الألباء في طبقات الأدباء لأبي البركات كمال الدين عبد الرحمن بن محمد الأنباري،
دار الفكر العربي . القاهرة ، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م
٤٢. نقد الشعر ، أبو الفرج قدامة بن جعفر ، تحقيق كمال مصطفى ، الطبعة الثالثة ،
مكتبة الخانجي بالقاهرة
٤٣. نهاية الأرب في فنون الأدب ، لشهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري ، تحقيق :
مفيد قمحية وجماعة ، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان - ١٤٢٤ هـ -
٢٠٠٤ م

الطبعة الأولى

- ٤٤ . وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان ، تحقيق إحسان عباس ، دار صادر - بيروت ، ١٩٠٠
- ٤٥ . وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان ، تحقيق الدكتور إحسان عباس ، دار الثقافة . بيروت